



سيمنار حول بحث منجز (3):
**سيمائية الصورة الخرافية للكورد
في التراث العربي**

د. شاهو سعيد
أستاذ النقد والأدب العربي المساعد

محتويات البحث

1. المشكلة والمنهج

- 1.1. إشكالية صورة الآخر في التراث العربي
- 1.2. خرافة الصورة النمطية للآخر
- 1.3. السيميائية ودورها في رصد مرجعيات الخرافة

2. خرافة انتساب الكورد الى الجن

- 2.1. الكليني وتوجس المعاملة والمخالطة مع الأكراد/ الجان
- 2.2. مداخلة السيد محمد الحسيني الشيرازي

3. سلالة الكورد في حكاية النبي سليمان

- 3.1. المسعودي وحكاية واقعة الشيطان لإمام سليمان
- 3.2. الأصفهاني وحكاية غزو سليمان للهند

إشكالية صورة الآخر في التراث العربي

- ❖ الآخر القومي
- ❖ الآخر الديني
- ❖ الآخر القبلي
- ❖ الآخر من حيث النسب
- ❖ الآخر من حيث المنشأ الاجتماعي والانتماء المكاني
- ❖ الآخر البدوي / الجبلي
- ❖ الآخر المذهبي

خرافة الصورة النمطية للآخر

الأسطورة والتخريف والتاريخ

تقبيح الآخر وتدنيه

شيطنة الآخر وأبلسه

القيمة التاريخية للخرافة

"بوصفها تاريخاً للعصور البدائية" حسب فولتير

:السيميائية ودورها في رصد مرجعيات الخرافة

- ❖ نظرية فلاديمير بروب وقانون التبادلية
- ❖ نظرية كلود ليفي شتراوس والعلاقة بين الطوظمية والتفكير النمطي
- ❖ نظرية جوليان غريماس ونظرية الوحدات العاملة

1. العلاقة التواصلية بين (المرسل والمرسل إليه)
2. الرغبة المتبادلة بين (الذات والموضوع)
3. الصراع بين طرفي ثنائية (المساعد والمعيق)

خرافة انتساب الكورد الى الجن الكليني وتوجس المعاملة والمخالطة مع الأكراد/ الجان

من كتاب (الكافي في الأصول والفروع)، وضمن باب (من تُكره معاملته ومخالطته):

".. عن محمد بن يحيى، وغيره، عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم، عمّن حدثه عن أبي الربيع الشامي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: إن عندنا قوماً من الأكراد، وأنهم لا يزالون يجيئون بالبيع، فنخالطهم ونباعهم. فقال: يا أبا الربيع، لا تخالطوهم، فإن الأكراد حيّ من أحياء الجن كشف الله عنهم الغطاء، فلا تخالطوهم".

الكليني وتوجس المعاملة والمخالطة مع الأكراد/ الجان

وفي باب كراهية مناكحة الكورد والزنج والسودان:

، ونقلاً عن علي بن إبراهيم، وهو يروي عن "اسماعيل بن محمد المكي، عن علي بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن الحسين بن خالد، عن ذكره عن أبي الربيع الشامي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (...) ولا تنكحوا من الأكراد أحداً، فإنهم جنس من الجن كشف عنهم الغطاء".

الكليني وتوجس المعاملة والمخالطة مع الأكراد/ الجان

أ. التمييز الطبقي والاجتماعي الذي كان يُبرر له دينياً وثقافياً في ذلك الزمان.

ب. التوجس الذي ارتبط بصورة الكوردي دون غيره ممن نُكره معاملتهم ومصاحبتهم، حيث لا يحقر الراوي المفترض الأكراد بقدر ما يتخوف منهم ومن أصلهم المرتبط بالجان.

ج. محاولة تبرير الأحكام الشرعية بصورة خرافية بإحالة الحكم الشرعي على حكاية مختلفة.

د. الذهنية البدائية التي افتقرت الى التصنيف المنطقي حين جمعت بين الانتماء العرقي (الأكراد)، والطبقي (المحارفين)، والجسدي (ذوي العاهة)، والأخلاقي (السفلة) والاجتماعي (ذوي المنشأ السيء) في باب واحد.

الْكُلَيْبِيُّ وَتَوَجُّسُ الْمَعَامِلَةِ وَالْمَخَالَطَةُ مَعَ الْأَكْرَادِ / الْجَانِ

أما فيما يتعلق بالحديث الثاني، فإنه جاء في باب من تُكره مناكحتهم، وفي ذلك ذكر الكتاب الى جانب الأكراد أحكاماً مماثلة تدعو، على التوالي، الى:

أ. عدم مناكحة الزنج لأنهم خلق مشوّه و- في رواية أخرى- لأن لهم أرحاماً تدلّ على غير الوفاء .

ب. عدم مناكحة السودان لأنهم تنطبق عليهم الآية القرآنية "ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به"(26).

ج. عدم مناكحة الأكراد لأنهم جنس من الجن.

د. عدم مناكحة الهند والسُّنْدِ والقَنْدِ لأنهم يفتقرون الى النجابة(27).

مداخلة ورد

مداخلة السيد محمد الحسيني الشيرازي:

- إن المقصود بهم غير الشعب الكوردي المعروف حالياً.
- الأكراد والأعراب.
- إنما سموا أكراداً لذهابهم إلى الجبال.

سلالة الكورد في حكاية النبي سليمان المسعودي وحكاية مواجهة الشيطان لإمام سليمان

في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" ذكر المؤرخ والجغرافي العربي المعروف أبو الحسن المسعودي (896-957) في معرض حديثه عن نسب الكورد: **".. ومن الناس من ألحقهم بإمام سليمان بن داود عليهما السلام، حين سلب ملكه ووقع على إمامه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد، وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن، فعلق منه المنافقات، فلما ردّ الله على سليمان ملكه ووضع تلك الإمام الحوامل من الشيطان، قال: أكردوهن إلى الجبال والأودية، فربتهم أمهاتهم، وتناكحوا، وتناسلوا، فذلك بدء نسب الأكراد".**

المسعودي وحكاية مواجهة الشيطان لإمام سليمان

عند تفكيك وحدات هذه الحكاية بإمكان القارئ أن يجد تواسجاً بين عناصرها التي تتفق على تقبيح صورة الكورد وأبلسته على النحو التالي:

- أ. من ناحية الأب، ينتسبون الى الشيطان.
- ب. من ناحية الأم، ينتسبون الى الإمام المنافقات.
- ج. زمنياً، أصيبوا بلعنة أبدية لم تُرفع عنهم بعد.
- د. مكانياً، تشرّدوا وعوقبوا بالنفي الى الجبال والأودية.
- ه. اجتماعياً، تربوا في كنف أمهاتهم المنافقات وتناكحوا فيما بينهم.

المسعودي وحكاية مواجهة الشيطان لإمام سليمان

وأخيراً يظهر الطرف المساعد المتمثل بالمشيئة الإلهية ليضع حداً للشيطان من خلال:

- أ. إعادة المُلك الى سليمان.
- ب. فصل الإمام المؤمنات عن الإمام المنافقات.
- ج. تكريد ونفي ذرية المنافقات الى الجبال والأودية.
- د. إبقاء اللعنة على نسل المكرّدين.

المسعودي وحكاية مواجهة الشيطان لإمام سليمان

هكذا، يتبين أن الوحدات العاملة والوظائف السردية تتواشج في حبكة الخرافة بشكل متقن، بحيث يبقى سريان تأثير الخرافة على ذهنية المتلقي حتى بعد تلقيها. ذلك أن الخرافة لم تُخلق من أجل إمتاع المتلقي، بقدر ما جرى اختلاقها لإسباغ صورة نمطية على المكرد (أكردوهن) المرادف للمطرود المعاقب (المُشيطن). وهنا تظهر الوظيفة المتبادلة بين اللغة والاسطورة التي تنبّه لها أرنت كاسيرر، حيث إن مفردة (الكورد) جرى تطويعها وتحريفها لتكمّل الوظيفة الحكائية للخرافة على أساس أنها مشتقة من فعل (كرد، يكرد، كزداً) الذي يعني (طرد، يطرد، طرداً). وبذلك يبقى الكوردي منفياً مطروداً حتى على أرضه، وحاملاً لعنته الملتصقة باسمه، ولا تفارقه هذه اللعنة طالما بقي حاملاً لاسمه.

الأصفهاني وحكاية غزو سليمان للهند

في "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" وفي باب (ذم النبط وأهل الرساتيق):

"..أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الأكراد جيل الجن كشف عنهم الغطاء. وإنما سُمّوا الأكراد لأن سليمان عليه السلام لما غزا الهند، سبى منهم ثمانين جارية وأسكنهم جزيرة، فخرجت الجن من البحر فواقعوهن، فحمل منهم أربعون جارية، فأخبر سليمان بذلك، فأمر بأن يخرجن من الجزيرة إلى أرض فارس، فولدن أربعين غلاماً. فلما كثروا أخذوا في الفساد وقطع الطرق، فشكوا ذلك إلى سليمان فقال: أكردوهم إلى الجبال، فسموا بذلك أكراداً".

الأصفهاني وحكاية غزو سليمان للهند

وهناك نقطتان أخريان لأبد من التنويه بهما:

1. إن الأصفهاني وباعتباره أحد الأدباء الكبار، أراد تشويق قصته أكثر من خلال توظيف أحداث حكاية إضافية إليها وتنويع مسرح أحداثها بين البر والبحر والجزيرة، وحركية وحداتها العاملة من خلال تصوير الغزو، وسبي سليمان للإمام من الهند، وأمره بإخراج الإمام، إمهات الأكراد من الهند إلى أرض فارس، ومن ثم من أرض فارس إلى الجبال.

2. إن الإصفهاني، وبوصفه فارسياً، أراد أن يرفع أي شبهة في التماثل بين الفرس والأكراد الذين سُموا عند بعض المصنفين "أعراب الفرس". كما أراد أن يضع حداً فاصلاً بين السلالتين، بدليل أن الباب المخصص لذم الأكراد وغيرهم في كتابه قد جاء مباشرة بعد باب مخصص لمدح الفرس وفضائلهم، وموازنة شرفاء الفرس بشرفاء العرب، وإسناد أحاديث إلى رسول الإسلام (ص) بفضيلة الفرس، ومنها: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا فارساً، فما سبّه أحد إلا انتقم الله منه عاجلاً وأجلاً" (42).

الخاتمة

- كانت الصورة الخرافية للكوورد جزءاً من صورة الآخر المجهول، الذي يحوم حوله الشك، ولا يخضع لآليات التطويع والتعريف ضمن المنظومة الثقافية التي كانت مهيمنة في المراكز الحضرية الإسلامية.
- كانت إشكالية صورة الكورد جزءاً من إشكالية صورة الآخر الجبلي الذي لم يكن من السهل السيطرة عليه، أو تطويعه ضمن المنظومة السياسية والثقافية للمراكز الحضرية في العالم الإسلامي القديم.
- أدي التنافس بين العرب والفرس قومياً، والشيعنة والسنة مذهبياً، الى إضفاء صور مختلفة ومتباينة على الكورد. وفي حين كانت بعض تلك الصور إيجابية، فإن معظمها اتصفت بالسلبية والخرافية.

الخاتمة

- لا يمكن لإعادة التأويل اللغوي المعاصر، للنصوص التي حوت خرافات تجاه الكورد، أن تغير من نمطية الصورة التي ارتسمت للكورد في التراث العربي خلال القرون العشر الماضية.

- تبين أن الإقصاء المستمر لهوية الآخر الكوردي، من خلال تدنيته وأبلسته في بعض النصوص، كان جزءاً من استراتيجية وإنكار الجانب الملعون للأنا التي لا يمكن لها أن تتحلى بجميع الفضائل، إلا إذا نسبت كل الرذائل الى الآخر.

الخاتمة

كانت صورة الآخر الكوردي جزءاً من رسالة سيميائية، ضمن ثلوث دلالي لم يمثل فيه الكورد أياً من طرفي المرسل والمرسل اليه.

- اقترنت الصورة الخرافية للكورد بأحكام شرعية في بعض المصنفات التي دعت الى عدم مناكحة الكورد ومعاملتهم ومخالطتهم. وارتسمت الصورة في بعض الأحيان في سياق قصص دينية، وخصوصاً قصة النبي سليمان وإمائه.

- ظهرت عناصر طوطمية في الذهنية التي أبلىست الكورد، والتي حاولت إضفاء قدسية على بنية العائلة التي لأبد من الحفاظ على وحدتها، وحمايتها من التهجين والمناكحة والتزاوج الخارجي.

الخاتمة

- عند تفكيك قصة سليمان الخرافية، برواياتها المختلفة، رصدنا وظيفة الوحدات العاملة السيميائية التي تنطبق على الأساطير والحكايات الشعبية.
- افتقرت الذهنية التي صورت الكورد خرافياً الى منطق التصنيف فيما يتعلق بالجمع العشوائي بين الانتماءات العرقية والطبقية والأخلاقية والاجتماعية.
- كان التمييز الذي مورس بحق الكورد جزءاً من تمييز بحق الزنج، والهند، والسُّند، والقَند، والنبط، وأهل الرساتيق وغيرهم.